القصص

من أساطير الأغريق

بين أپوللو وكيوپيد[1]

للأستاذ دريني خشبة

عصى الناس ، فى قديم الزمان ، سيد أرباب الأولمپ ، السند الأعظم ، المهيمن على ملكوت السموات والأرض : زيوس . ومع ما اشتهر به من واسع الحلم ، وطول الأناة ، وجم المغفرة ، فانه لم يشأ أن يمد للعالم فى حبل الغواية ، لدرجة إنكارهم لذاته ، وإلحادهم فيه ، وكفرهم به ؛ فأقسم ليهلكن حرثهم ونسلهم ، وليقطعن دابرهم أجمعين ! فأطلق الرياح الجنوبية الهوجاء ، وأرسل السحب تتدجى كقطع من الليل البهيم ، وأذن للأرض فتشققت ينابيع وعيوناً ، ثم انهمرت الأمواه من فوقهم ، وتفجرت من تحت أرجلهم ، وطغى الموج يجرف الدور ويُعفّى الآثار . وفى أيام قلائل ، كان الطوفان يغمر وجه الأرض ، ولم يكن ثمة إلا بحر خضم عظيم

وهلك الناس جميعاً ، وشفى زيوس موجدته عليهم ، ثم بدا له أن يعيد مياه الحياة إلى مجاريها ، فأطلق الرياح من عقالها ، فهبت فى شدة وعنف ، وأخذت ترشف ماء الطوفان ، تعاونها فى ذلك مركب أپوللو . . . يوح[2] العظيمة . وبدأت الأرض تجف ، وشرع بساطها السندسى الجميل يبدو قليلا قليلا ، حتى ازدهرت المروج ، وأينعت الحمائل ، وسمق الدوح ، واهتزت الرُّبى ، وأخذت السهول زخرفها . وبدا له مرة أخرى أن يخلق أناسى يعمرون الأرض الجديدة ؛ فما كاد يفعل حتى ظهرت حيوانات بحرية هائلة ، جعلت ترحف من الماء إلى الأرض ، فتهلك الخلق الجديد . وكان أشد هذه الحيوانات وطأة ، وأكثرها فتكا ، ذلك التنين البحرى الهائل ، الذى كان يصمد للعصبة القوية من الرجال فيفنيها عن آخرها ؛ حتى ضج الناس واستغاثوا ، وجأروا بالدعاء إلى زيوس الرحيم ، فرق لهم وحدب عليهم ، وأرسل أعز أبنائه من زوجه لاتونا : أپوللو ، فأنقذهم من التنين (پيثون) بسهامه التى سددها اليه حتى أرداه

أپوللو يقتل پيثون

واثقى ثملا بخمرة النصر ، مزهوّا بما رفع الناس إليه من صلوات وابتهالات ، وبينما هو راق إلى سماء الأولمپ ، إذا أخوه كيوپيد بن أفروديت يصيد الظباء فى غيضة لفّاء ، ويلهو باجتناء الثمر ، ويمرح بين أفواف الزهر ، كالمستهتر الخالى . فأراد أپوللو أن يناوشه ، فقال له : « كيوپيدَ يا ابن أفروديت ! أنت هنا تصيد الظباء الضعيفة ، وتريش سهامك إلى أطلائها[1] المفزوعة ، ولا تجسر على اقتناص الأفعوانات البحرية المرعبة التى تفتك بعباد أبينا زيوس ؛ ومع ذاك لا تفتأ تفاخر الآلهة بسهامك التى لا تطيش ، ورميّاتك التى لا تخيب . كيوپيد الصغير ! يجمل بك أن تنزل لى عن قوسك المرنان ، وسهامك الذهبية ، أو أن تحد

(١) لقد طعت أسماء الميثولوجيه الرومانيـة على الميثولوجيه اليونانية طغياناً كبيراً ، مع أن الثانية أصل للاولى ، وأپوللو هو الاسم الرومانى للاله فوبوس اليونانى ، وكذلك كيوپد هو إيروس بن أفروديت (ڤينوس) وقد آثرنا الأسماء الرومانية لشهرتها فحسب .

(٢) الشمس

(١) أبنائها

من كبريائك ، وتأتى إلىّ كل يوم أعلمك كيف تكون الرماية ، وكيف ينبغى أن تسدد السهام ! »

وغيظ كيوبيد من هذا التقريع الذى لا مُسَوِّغ له ، وذلك التفاخر الأجوف الذى لا فائدة منه ، ولا طائل وراءه ، فعبس وبسر ، وتجهّم وزمجر ، وقال فى عبارة ملتهبة ، وأسلوب مشبوب : أبوللو يا ابن لاتونا ! كان الأولى بك أن تذكر كيف عذبت حيرا [1] فى سالف الأيام أمك وأذلتها ، فتقنى حياء ، وتتوارى خجلا ، ولا تملأ الهواء بمثل هذا الفخر الكاذب ! أبوللو ! أنت تتيه بسهامك وتُدل ؛ وتدعى أنك تقنص بها الأفعوانات البحرية ، على حين أصيد الظباء ، وأقتل الأطلاء ، ألا فلتعلم أننى أمهر منك ألف مرة فى تسديد السهام ، وأقوى فى توتير القوس ، وإن كنت بعد حَدَثاً صغيراً . على أننى أنذرك ، أنت يا أبوللو يا ابن لاتونا بسهامى التى سأجربها فيك قريباً ! ! »

فضحك أبوللو ملء شدقيه ، وقال : مخ مخ يا كيوبيد بن أفروديت ! ليس هكذا يخاطب سيد الشمس أبوللو ! ولكن يبدو لى أنك مُتعب من طول ما أخذت نفسك به من الصيد فى هذه الغيضة ، وأحسبك قد أعياك ظبى نافر فأخرجك عن طورك ، خصوصاً وأفروديت تنتظرك لتُعد الشواء ! . . أنت ستجرب سهامك فىّ . . . . فىّ أنا . . . . ! »

فقال كيوبيد : « فيك أنت . . . . فيك أنت يا أبوللو ابن لاتونا . . . . وسترى . . . »

وامتلأت أسارير أبوللو بضحكة ساخرة ، وفصل مستهزئاً

وشرع كيوبيد يدبر انتقامه ، ويرسم له الخطط التى ينال بها من أبوللو ، فلا يستطيع أن يفلت ، وكان يحمل كنانتين ، يحتفظ فى الأولى بسهامه الذهبية التى يصمى بها القلوب فتملأها حباً وصبابة ؛ وفى الأخرى بسهامه الرصاصية التى يصيب بها القلوب فيفعمها بغضاً وكراهية . . . . ونثر كنانتيه وانتقى من كل واحدة سهماً حاد الشباة مزدوج السنان ، ثم انطلق فى الأدغال يفكر ويُدَبِّر ؛ ويمم شطر غدير قريب يطفئ منه غُلته ، فرأى الغينة الحسناء (دفنيه) متجردة من ثيابها ، جالسة كالقطاة على عُدوة الجدول ، تداعب الماء بقدميها الحبيبتين ، وتظللها صفصافة ممتدة الفىّ وارفة ، والأطيار من فوقها تغنى لها . فقال كيوبيد ، متحدثاً إلى نفسه : « فرصة نادرة إن أغلتها . . هذه (دفنيه) الحيلة تستقع من القيظ ، وهى وسيمة قسيمة ، بارعة الحسن ، تامة المفاتن ؛ لابد أن أسدد سهماً رصاصياً إلى قلبها الصغير فيمتلئ كراهية وبغضاء . . . ويحسن ألا أشعرها بوجودى حتى أصمى قلبها . . . فلأختبئ هنا . . . »

وتوارى خلف دوحة كبيرة ، وثبت السهم الرصاصىّ فى مكانه من القوس ، ثم أطلقه فى قلب دفنيه ؛ وما كاد يفعل حتى انخلع قلب الفتاة من الذعر ، وأسلمت ساقيها للريح تعدو بين الأيك ، صارخة من ذلك الثلج الذى ذهب بحرارة فؤادها

وقصد كيوبيد إلى حيث أبوللو ، وكان قريباً من دفنيه ، فصدد إلى قلبه السهم الذهبى فأصماه . وتلفّت أبوللو ينظر ماذا أصابه ، وحدث أن كانت دفنيه منطلقة تعدو إذ ذاك ، فلمحها ، وسرعان ما جن بها جنوناً . لقد ملأه سهم كيوبيد حباً ، كما ملأ سهمه الرصاصى دفنيه بغضاً . . .

لقد كانت دفنيه أول من وقع عليه نظر أبوللو بعد إذ ملأه سهم كيوبيد حباً ، فهام بها ، وشعر نحوها بهوى ممض وبرح قديم ، كأنه برح آلاف من السنين ؛ وكذلك كان أبوللو أول من وقع نظر دفنيه عليه بعد إذ أفعمها سهم كيوبيد كراهية ، فأبغضته ، وشعرت بسم تنفثه عيناه فى قلبها حينما رأته

أفلح كيوبيد إذن فى الفتك بأبوللو ، حين أوقعه فى أحبولة الهوى ؛ وردّاه فى شرك الغرام ، بهذه الفتاة الكارهة المحنقة ، دفنيه ! أفلح كيوبيد ، وتبع أبوللو يرى اليه يتذلل ويتضرع ... ويبكى كما يبكى الآدميون . . وهو سيد الشمس ، ورب الموسيقى ، وقانص الأفعوانات كما دل على كيوبيد وافتخر !

انتصر كيوبيد إلّه الحب ، صاحب القوس الذهبية ، كيوبيد الطفل ، ذو الجناحين ، على أبوللو سيد الشمس ، صاحب القوس والوتر المُرِدّ ! !

إن الحرب لم تبدأ ، حين بدأت ، بين أبوللو بن لاتونا ، وكيوبيد بن أفروديت ، بل هى قد بدأت بين البغضاء والحب ، والقِلى . . . والهوى !

انطلق أبوللو فى إثر دفنيه المذعورة يبكى ويتذلل ، ويحاول

(١) يشير كيوبيد الى أسطورة رائعة سننشرها قريباً ، وحيرا هى أول زوجات زيوس

اللحاق بها . . . ولـكن هيهات ! لقد كانت تُممن فى الهرب ، كلما جد هو فى الطلب ؛ ولقد كانت تنظر اليه كأنه قاتل أبيها . . . وخانق أمها ! . .

وصاح أبوللو ضارعاً : « دفنيه أيتها العزيزة ! قفى أرجوك ! تمهلى أتوسل اليك ! الشوك يجرح قدميك المعبودتين يادفنيه ! أوّه ! روبدك ياحبيبة ! لا تنطلقى هكذا فقد يؤذيك اندفاعك ! فيم أنت مذعورة هكذا ؟ قفى ؛ فأنا أبوللو . . . قفى ! . . »

أبوللو يعدو ضارعاً وراء دفنيه

ولـكن دفنيه لا تجيب إلا بنظرة القنص ، ولفتة الواجف المراش ، وتجد فى الهرب . . فيقول أبوللو : « قفى يادفنيه ! قفى ولك نصف ملـكى ! بل لك الشمس كلها إذا وقفتِ ! أنا رب الموسيقى سأغنى وأصدح لك ! سأطربك بقيثارتى الذهبية بعد أن أغسل لك قدميك فى كل ليلة (! !) ، سأطير بك فى أرجاء السموات ! ستكون لك القصور فى جنة الأولمب ! سأمنحك الخلود يادفنيه ! أحبك ! أستحلفك بزيوس إلاّ ما وقفت ! مالك هيمانة على وجهك هكذا ؟ هل أخيفـك ؟ هل أزعجك إلى هذا هذا الحد ؟ . . . ويلاه ! »

ولا تبالى دفنيه ، بل تعدو وتعدو . . .

ويضيق أبوللو بفعلته ذرعاً ، فيلجأ إلى جبروت الآلهة ، ويبدى سلطان السماء ! ويصيح صيحةً هائلة ، فيكون سد منيع فى طريق دفنيه !

فيقول أبوللو وقلبه يضطرب من طول الاعياء : « فيم تهربين منى يادفنيه ! ألم تعبديني مرةً وتقدمى الضحايا باسمى إلى كهنة الهيكل ؟ هأنذا أبوللو المعبود ، أرجوك وأتوسّل إليك ! ماذا تريدين بعد هذا ؟ لقد بلغت من أبوللو منزلة لم تبلغها ربة من قبل ! لقد فضلتك على كليمين ، زوجتى المعبودة ، وأجل عرائس البحر ، وأم طفلى المحبوب فيتون ! ! فيتون أسرع الآلهة بعد أخى هرمز ، سآمره يكون خادماً لك ! إنه يقتنى أغلى المركبات ، ولديه من الصافنات الجياد أغلاها ؛ ستركبين معه فتطوفين العالم فى ساعتين ، وترين ما بين الشرق والغرب فى لمحتين ، لو رضيتِ ! دفنيه ! أرجوك يادفنيه ! إننى أبداً ما بكيت بمثل ما أبكى لك ، وأذرف الدمع بين يديك ! حنانيك يادفنيه فقد سحقت قلبى بكبريائك ، وأذللت نفسى بخيلائك ! »

وكان فعل السهم الرصاصى فى قلب دفنيه قد خف ، ووقفت الغادة حائرة مترددة مما تسمع ، وكانت عيناها ترنّتين بعبراتٍ حبيسة . ولـكن كيوپيد ، المختبئ فى عساليج الـكروم القريبة كان يرى ويسمع ، فلما شاهد من ضعف دفنيه وقرب تسليمها ، تناول قوسه ، وانتقى سهماً مسنوناً من كنانة الأسهم الرصاصية وسدده إلى قلبها ، فصرخت المسكينة صرخة داوية ، وهبت فى وجه أبوللو تقول : « إليك عنى أيها المسخ ! تنحَّ ! أبغضك ! أكرهك ! أغرب عنى ! أنت أنجس من التيتان[1] ، وألأم من شارون[2] ، إذهب ! لا أطيقك ؛ انظر إلى هـذا الغدير لترى الشرر ينقدح من مقلتيك ، والدخان يصّاعد من منخريك ! كريه . . كريه . . شأنه أنت أيها الوحش . . »

وكذلك كان فعل السهم الذهبى قد شارف أن يبطل فى قلب أبوللو . . وكاد الالـه العظيم يخلص من هذا السحر العجيب ، فيسحق دفنيه ، لولا أن تنبه كيوپيد ، فأصاه بسهم ذهبى آخر ، فجن جنونه ، وتجدد حبه ، وتألب به هواه . . . فصرخ صرخة راجفة ، وأشار إلى السد فزال عن طريق دفنيه ، فانطلقت تعدو . . وتعدو . . . وانطلق هو فى إثرها يتوسل . . ويذرف أغلى العبرات ! !

لقد كانت دفنيه تطوى الطريق كأنها فـكرة شاردة فى رأس شاعر ، ولقد كان أبوللو يقتص آثارها كأنه الـكوكب السيار

(١ ــ ٢) التيتان هم أبناء وبنات زيوس من الردة وقتلة ابنه زجريوس وأبغض الأبالسة إلى الآلهة ؛ وشارون هو حارس الجحيم

منجذباً إلى نجم كبير ! وكان كلما سرق اللمحة من ساقيها الجميلتين التهب قلبه بحبها ، واشتعلت نفسه بالرغبة المُلحة فيها ، وانجذبت روحه إليها . . . . بالكيوپيد ! وبالسهامه . . . . الذهبية . . . والرصاصية ، على حد سواء ! !

وتعدو دفنيه حتى تكون عند حفاف النهر العظيم الذى أقام زيوس والدها الكبير إلهاً عليه ، فتصرخ قائلة : إنقذنى يا أبى ! خلصنى من هذا الوحش الذى يدعى أنه أپوللو الكريم ! إنه يعدو من ورائى . . . خلصنى منه . . . إنى أبغضه . . . يا أبى . . . يا أبى . . »

وينشطر الماء ، ويخرج أبوها ، إلـه النهر ، فيرى أپوللو مقبلاً ، فيعرفه ، ولكنه يرق لابنته ، ويقسم ليخلصنها من سيد الشمس ، فيغرس قدميها فى الشاطئ ، ويحتفن من الماء بيديه ، وينثرها به ، بعد أن يتلو عليه من تعاويذه ؛ ويقف أپوللو مشدوهاً ، موزع اللب ، ينظر ويرى !

لقد تحولت دفنيه ، فى لمحات ، إلى شجرة باسقة من أشجار الغار ، وأخذت الخضرة تينع فى أغصانها ، بين حيرة أپوللو وشدة تعجبه !

ووقف الالـه العظيم يبكى ويا ويح للعاشق المخبول !

ثم تقدم فبارك الشجرة ، وسقاها من دمعه ، الذى كان من خلائقه الكبر ! وانصرف محطم النفس ، مهدود القلب ، كاسف البال ... ولقيه كيوپيد ، فسأله الخبيث : «أين سهامك التى أرديت بها الأفعوانات يا أپوللو بن لاتونا ؟ » فقال : « كيوپيد ! اشفنى مما ألم بى ! » فقال كيوپيد : « بهذا السهم الرصاصى أشفيك ! »

وتلقى أپوللو السهم فى قلبه عن طواعية فبرئ مما به ، ولم يعاد كيوپيد بن أفروديت بعدها !

دمنهور

محمد

ظهر حديثاً كتاب :

فى أصول الأدب

فى ٢٢٠ صفحة بقلم

احمد حسن الزيات

يطلب من ادارة مجلة الرسالة

٣٢ شارع المبدولى — القاهرة

ومن سائر المكاتب

وثمنه ١٢ قرشاً صاغاً خلاف أجرة البريد

الباخرة النيل

فيها متاع ونعيم

وهى

قطعة من صميم الوطن

تجوب البحار رافعة علم مصر الخفاق

ستقوم برحلات منظمة ظهر يوم

الخميس كل أسبوعين

من الاسكندرية الى جنوا ومرسيليا

ابتداء من يوم الخميس الموافق ٢٣ مايو المقبل